

## إمكان اللغة المنطقية والمثالية (محاولة لإعادة بناء نظرية العلم)

أ. وائل أحمد خليل \*

مقدمة :

إنّ عمليتي التلفيق في إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أو التوفيق بين الآيات والمعطيات العلمية - اللتين بمقتضاهما يتم الكشف العلمي أولاً وفق مقوماته المنهجية ثم العودة إلى " الكتاب " لنرى ما تم اكتشافه موجوداً منذ بضعة عشر قرناً - أمر ليس بالمجدي كثيراً ما دام هنالك إمكان لإحداث الكشف العلمي كمرحلة لاحقة لقراءة الكتاب . وإذا شئنا أن نحقق النقلة الضرورية من تلك المرحلة ؛ فإن ذلك ينبغي أن يتم من خلال الانتباه إلى أن أساس المشكلة يكمن في " الفهم " ولذلك فإنه ينبغي القيام بعملية إعادة برمجة لآليات الفهم من خلال توليفات تمثّل - في حد ذاتها- إعادة لبناء نظرية العلم في مجملها.

هذه هي - إن كنت محقاً - النقلة إلى ما نحتاج إليه؛ وذلك لتصحيح مسار التاريخ العلمي للبشرية بأسرها وتعجيل سرعة الكشوفات العلمية أضعاف ما هي عليه ، وهذه خطوة أساسية على طريق المنهجية العلمية القرآنية التي يمكن أن تجعلنا نقرأ الكتاب بعقل مغاير تماماً لما كان ، أي : بعقل علمي لا يقبل الانحرافات التأويلية وفق الهوى ولا يتيح السانحة للإكثار منها .

(أ) مقدمات المشروع :

ما هي نظرية العلم :

لا بد في البدء من كلمة عن فلسفة العلم ، التي هي أكثر الفروع الفلسفية فعالية وخطورة في صياغة الإنسان المعاصر وإنسان المستقبل كذلك : إنّ فلسفة العلوم - بطبيعة حالها - بمثابة نصل ( Razor ) يحاول أن يؤدي عمله في اجتثاث شطحات الفكر التي تجنح نحو آفاق تبعد عن الحقيقة من حيث هي . ومن جهة أخرى فإنّ فلسفة العلوم تقود العقل إلى مجالات بالغة الصعوبة والتعقيد والحساسية ؛ لأنها ترتبط بسنن الله في الطبيعة ، وفي إطارها أيضاً تتم مراجعة الخبرة البشرية في منطلقاتها وغاياتها، وهي في ذلك لا بد لها من أن تسترشد بنموذج ما Paradigm يحدّد اتجاه القراءة وإعادة القراءة لتاريخ العلم ، أو يغلف المنطق العلمي ومناهج البحث بمسحة إيقانية ، أو بمسحة شكية نسبية أو يوجه ما ترتب على الكشف العلمي وممارسة التجريب - من قيم أخلاقية واجتماعية وحقوقية- وجهة إحادية أو وجهة إيمانية، أو يصوغ المفاهيم العلمية صياغة تتأرجح بين مبدأ التحقق ((Verification Principle) ومبدأ التكذيب (Falsification) وفق هذا النموذج أو ذاك ، وهذا يعني صياغة القانون العلمي صياغة تبريرية .

\* - محاضر بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا .

وإن كان يفترض في العلم وفلسفته أن يكونا (نصلاً) فنحن أصحاب الوعي الشرقي أكثر الشعوب احتياجاً لهذا النصل ؛ وذلك لما تمتلئ به عقولنا من إمكانات دلالية وهمية فضفاضة ترتبط بالأسطورة والخرافة، ويتمثل هذا في معتقدات إنسان الحياة العادية ، الأمر الذي سمح بالإفراط فيما سمي (بالعاب اللغوي)؛ حيث أننا نجد أنفسنا في خاتمة المطاف - حتى على المستوى العقدي الديني - نحمل إمكانية خصبة للخلط والخطأ وتيه النص وضعف الرؤية الشمولية ذات المصادقية الفاعلة، فشاعت بذلك خرافة الانفصال بين علم نظري وعلم تجريبي وبين حقيقة عقلية و حقيقة كونية ، وبين وحي وواقع ، وبين دين ودنيا ، وهذا تعبير عن الكثرة غير المبررة التي يجدر بنا إعمال نصل فيها حتى تتجلى الحقيقة الكلية خالصة أمام الوعي العام : سواء الشرقي المفرط في التهويمات المجردة أو الغربي المفرط في الجزئية والنسبية والصور الحسية الضيقة ؛ وبذلك تتحقق الرؤية الموحدة ؛ ومن هنا تظهر أهمية (النموذج) الذي يجمع بين القراءتين: (الكون والوحي) بشكل كلي متكامل؛ وذلك من خلال استقراء كتاب الله جل وعلا واستنتاج الطبيعة الموجودة بأمره وكلمة (كن فيكون) . فيصبح المؤدى الأمثل لهذه العملية ، هو وجود الكائن من جهة الكيف والكم والجهة ومن جهة اللماذية والغائية والعلة الأولى .

ولكي يتيسر فهم ما يكتب في هذا المجال فلا بد من الدخول إليه عبر بوابة منهجية تكشف الموضوع والطريقة والهدف بشكل عام ، وتكشف شيئاً من الجدل القائم بين النماذج المختلفة ، وما يحيط بها وهو ما يسميه الفلاسفة (بنظرية العلم) .

وفيما يتعلق بهذه النظرية فإن أهمية هذا المبحث تتمثل من ناحية مفاهيمية في دلالة مصطلح (نظرية العلم) The Theory of Science التي تفيد إيضاح الأساس المنهجي الذي يسبب تغييراً وتطوراً في حركة العلم على وجه العموم؛ وذلك بشكل موحد يقترن به نحو النظام ، وهو يمثل الجانب الأساس الذي تنتظم في إطاره المعرفة المبعثرة ، لتتحول إلى كل جديد تتماسك أجزاءه تبعاً لروابط وعلاقات ضرورية . ومن ثم تتحدد ماهية نظرية العلم من جهة أصولها ومبادئها المهمة على النحو التالي:

**أولاً :** نتناول نظرية العلم والعلوم المختلفة بالتحليل ، وذلك لمعرفة العناصر الفكرية والطرق المنطقية التي نستخدمها في بناء المعرفة والنظريات . وهذا معناه أن العلوم الطبيعية والبرهانية والاجتماعية والإنسانية هي مادة نظرية العلم ، فهي بذلك ليست علماً يضاف إلى العلوم ؛ بل هي نظرية تحليلية للعلوم .

**ثانياً :** في ذلك جانبان : يتمثل الجانب الأول في المادة أو الموضوع الذي يبحثه ، والجانب الثاني يتمثل في الطرق المنطقية ، برهانية كانت أم تجريبية؛ والتي يتم بموجبها بحث الموضوع وصياغة قواعده وقوانينه . ونتناول نظرية العلم - استناداً على هذا التمييز - بالتحليل كما نتناول جانب المعرفة من أفكار وصور ومفاهيم وجانب الطريقة التي تنتظم المعرفة بموجبها .

**ثالثاً :** تسعى نظرية العلم - من وراء تحليل المعرفة - إلى تحقيق وحدة العلوم ، باعتبارها الهدف الذي مازالت الفلسفة تحاول تحقيقه عن طريق الدراسات المنطقية والتجريبية<sup>(1)</sup>.

(1) ياسين خليل ، منطق المعرفة العلمية : منشورات الجامعة الليبية ، 1971 ص 37 - 38.

هذا مجمل محددات نظرية العلم، ولكن كيف يمكن لنا أن نملاً هذه القوالب العامة بمادة ضرورية مستمدة من علم حقيقي بالكتاب المنزل لا سيما في النقطتين الثانية والثالثة، بحيث لا يكون الاكتفاء بالتحليل؛ بل لابد من خلق الكشف العلمي بصورة كاملة أو أقرب إلى الكمال؛ وتكون متوافقة مع فكرة النسق أو النظام الموحد؛ وهو ما يمكن أن ينتج عنه ما يسمى بالرؤية الكونية الشاملة *Worldview*.

وهذا البحث يحاول أن يقدم -في الأساس- معالجة لإشكالية ما وراء نظرية العلم، وهي الإشكالية الفلسفية التي تجعل من القوالب العامة لنظرية العلم نسقا ممكنا متحققا. وفي مرحلة ثانية يقدم اقتراحا؛ وهي بمثابة خطوة تطبيقية في الجانب المنطقي الأكثر غموضا في جوانب المنهج العلمي؛ إذ يتم التعبير عن القوانين الكلية بالصورة المنطقية التي تسمى في المنطق الصوري بالقضية الشرطية الكلية سواء كانت هذه القضية الشرطية الكلية -شرطية في اتجاه واحد كقولنا: بالنسبة لكل حالات (و) إذا كان (ق و) لزم عنها (ك و) ويعبر عنها في المنطق الرمزي على النحو التالي: (و) (ق و) ك و) ، أو كانت قضية شرطية مزدوجة أي أن (ك و) لا تتعقد وحدها عندما تتعقد (ق و) ، لكن العكس صحيح أيضا عندما تتعقد (ك و) وأيضا (ق و) . ولكن ليس كل القضايا التي يصوغها العلماء لها مثل هذه الصورة المنطقية، فهناك قضايا تتحدث عن وقائع مفردة، ويطلقون عليها اسم القضايا المفردة. ويعتبر كارناب - أحد رواد المدرسة الوضعية المنطقية - أن جميع معارفنا في الأصل قضايا مفردة، أو ملاحظات فردية لأشخاص فرادى، بل إن إحدى المسائل الكبرى المحيرة في فلسفة العلم هي كيف يمكننا المضي في مثل هذه القضايا المفردة إلى إثبات القوانين العلمية<sup>(1)</sup>.

وهذا الإشكال يكمن في نقطة الانطلاق بصدد الكشف العلمي سواء على مستوى العملية العلمية في ذاتها وتحقيق أفضل النتائج من جهة القاعدية والعمومية والثبات (القانون العلمي) لتفسير الظاهرة موضوع البحث، أو على مستوى فلسفة العلم التي تحدد لمادئية نظام أو نسق معين يفسر الشكل الكلي لماهية وحركة مجمل الظواهر الطبيعية والاجتماعية، فيكون الاتجاه ماديا أو مثاليا أو واقعا... الخ.

من هنا فإن البحث يتناول الأساس الفلسفي في التعامل العلمي مع القرآن بصياغة توليفات بين ما يسمى في الفلسفات المعاصرة باللغة المثالية *Ideal Language* واللغة الطبيعية أو العادية *Natural or Ordinary Language*. كما يتناول البحث أيضا اقتراح الانطلاق بالكشف العلمي من التنزيل بإحلاله محل الفرض العلمي من خلال توليفة منطقية بين معيارين منطقيين للصدق هما الاتساق *Coherence* والتطابق *Coreespondance* المختلفين جوهريا أيضا.

#### (ب) جدل اللغة المثالية والطبيعية

تعمل الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة بفاعلية قصوى، حيث أدى تطور العلوم والتعقيد المفرط للأفكار المركبة إلى تكريس جل مجهوداتها للقيام بوظيفة تحليلية في إيضاح المعنى *Meaning* بدءا من الأبوخي *Epoche* الظاهرانية *Phenomenology* مع هوسرل *Husserl* أو تعليق الحكم ووضع العالم بين قوسين والتجرد عن الخبرة ثم إعادة بنائها.

(1) رودلف كارناب: الأسس الفلسفية للفيزياء، ترجمة: السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، ص5.

ومن ثم تأتي الخطوة المنهجية الأخيرة في إيضاح المعنى من ذلك البناء في الوعي. كما تناول ذلك الاتجاه الوجودي Existentialism مع سارتر P. Sartre وجاربرس K. Jaspers ومن قبلهم هايدجر M. Heidegger عبر مقولة الـ (الوجود هناك) Da Sein في إيضاح المعنى اللامعقول للـ ego أو الأنا السابقة في وجودها على ماهيتها. وتناولته الفلسفة البرجماتية Pragmatism مع جيمس W. James وديوي J. Dewey وبيرس Ch. Peirce في جعل معيار المعنى والصدق Truth للأفكار بقدر نجاحها في الفعل، وكذلك ما يعرف بالمظهر الإجرائي للمعنى عند برجمان Bridgman. كما تناولته الوضعية المنطقية Logical Positivism مع أير A.J. Ayer وكارناب R. Carnap وشلك M. Schlick وفايجل Feigl من خلال مبدأ تحقيق المعاني Verifiability الذي هو بمثابة المعيار الذي نتأكد -بناءً عليه- من صدق العبارات أو القضايا التي تتناول الواقع الخارجي أو كذبها؛ إذ أن أي عبارة لا تكون ذات دلالة حقيقية بالنسبة لأي شخص إلا إذا كان هذا الشخص يعرف كيف يتحقق من القضية Proposition التي توحى بها هذه العبارة، أي إذا عرف ما هي المشاهدات التي تقوده - في ظروف معينة - إلى قبول القضية أو رفضها.

ثم تأتي المدرسة التحليلية اللغوية بشقيها الذرية المنطقية عند رسل B. Russell وفيتجنشتاين L. Wittgenstein وفلسفة اللغة العادية أو الطبيعية Philosophy of Ordinary or N.L. عند فيتجنشتاين في فلسفته المتأخرة وأصحاب مدرسة أكسفورد مثل رايل G. Ryle واستين Austin وستروسان Strowsan وغيرهم. والمدرسة التحليلية اللغوية بشقيها هي ما يهمننا في هذا البحث، وهذا الجزء يأتي كإيضاح عام لماهية كل شق منها، وهو ما سنتم الاستفادة منه في صياغة الأساس الفلسفي الجديد لقراءة (التنزيل) من خلال إحداث توليفة منطقية، بين أهم نتائج كلا المدرستين المعنيتين، إذ أن فيهما من جوانب الحق ما يفيد كثيراً في صياغة أنماط منطقية منطلقة منهما. وكما قال قديماً فلاسفة العرب: (لا ينبغي أن نستحي من استحسان الحق من أين أتى).

وهذا يعني أن نأخذ بما فيهما من أوجه الحق فحسب؛ وليس من شأننا ما نتج عنهما من انعكاسات أو مسلمات فلسفية في مسائل الأنطولوجيا (الوجود) والإكسيولوجيا (القيم)، وإنما إذ نأخذهما فإننا لأنأخذهما إلا كمحددات منطقية أسهمت في صياغة نظرية المعرفة، أي كمحددات إبستمولوجية فحسب.

اتجاه اللغة المثالية (مدرسة الذرية المنطقية):

لا توجد لغة مثالية واحدة وإنما هناك عدة لغات، إذ لا توجد لغة خاصة بالعلوم حين تتطور؛ بل لكل علم متطور لغة خاصة تتمثل في مصطلحاته الفنية ومفاهيمه الخاصة التي لا يفهمها إلا أصحاب هذا العلم والدارسون له. فلدينا لغة ميكانيكا جاليليو، ولغة فيزياء نيوتن، ولغة الذرة عند نظرية الكوانتم Qu.M. ولغة نظرية النسبية Theory of R. في الطبيعة والفضاء، ولغة علم أحياء الخلية الحية، ولدينا أيضاً لغة الرياضيات برموزها ومعادلاتها وقوانينها ونظرياتها.

وهناك لغات مثالية يحاول الفلاسفة والمناطقة إقامتها؛ وقد كان وجه الحاجة إليها في نظر الداعين إليها هو الوعي بما في اللغة العادية - وهي التي نتكلمها جميعاً في حياتنا اليومية من غموض وقصور ونقص ، فهناك كلمات ليس لها معنى محدد ، وكلمات أخرى معانيها متداخلة، كما أن اللغة العادية بمفرداتها المألوفة قاصرة عما نريد التعبير عنه .

فاللغة المثالية المنطقية إذن لغة رمزية تحاول أن تتجنب كل عيوب اللغة العادية؛ بحيث يكون كل اسم دالاً على معنى معين أو يكون لكل كلمة معنى ومدلول ، ونعني في هذه اللغة أيضاً بدراسة التركيب الصحيح لمفردات اللغة في جمل سليمة البناء ووضع قواعد لهذا البناء ، كما نهتم بقواعد دراسة الاستدلال في صورة من الجمل وما يلزم عنها من صور أخرى ، ويسمى هذا المشروع للغة أحيانا الحساب المنطقي Calculus Logical أي أن اللغة يجب أن تصبح حساباً لها رموزها ومعادلاتها ودقتها. ومن الداعين إلى إقامة هذه اللغة (ليبنيتس) (1645 - 1761) في القرن الثامن عشر وفريجة Frege ورسل وفيتجنشتاين وكراناب في القرن العشرين في بعض مواقفهم المبكرة (1) .

نحاول هنا أن نجمل المشروع الذي حاول إقامته (رسل) و (فيتجنشتاين) في أوائل هذا القرن في النظرية المسماة بـ (نظرية الذرة المنطقية) Logical Atomism ونلاحظ أن هذين الفيلسوفين ظلا يفكران في هذه النظرية ويصوغانها ويكتبان فيها منذ عام 1912 ولمدة عشرين عاماً تقريباً ، ثم تبين لهما خطأ النظرية ، بل تبين لهما أن مشروع إقامة اللغة المثالية عمل مستحيل .

مصادرتان (2) للنظرية الذرية المنطقية باعتبارها المثال الأوضح في محاولات اللغة المثالية :

النظرية الذرية المنطقية نظرية ميتافيزيقية تجريبية تتساءل مم يتألف العالم ؟ وما أنواع الموجودات فيه ؟ وما أنواع القضايا التي تعبر عن هذه الموجودات ؟ وما مكونات هذه القضايا ؟ وهل يمكن رد الموجودات المركبة التي تعبر عنها إلى أكثر الموجودات بساطة ، وأكثر القضايا بساطة ؟ وما العلاقة بين اللغة والواقع ؟ وتجيب النظرية عن هذه الأسئلة .  
ولذلك يقول " رسل " أنه يسمى هذه النظرية بنظرية ذرية ، لأنها ترد كل ما ندركه في العالم من أشياء أو وقائع مركبة إلى أبسط أجزائها ، ويسمى النظرية ذرية منطقية لأن الذرات التي نود الوصول إليها ذرات منطقية لا فيزيائية ، ولذلك تستعين النظرية بالمنطق في صياغتها . ويتبين من ذلك أن اللغة التي تستخدمها النظرية ليست اللغة العادية وإنما لغة صناعية جديدة . ولعل النظرية تبدأ بمصادرتين هما :

(1) محمود فهمي زيدان : في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 ، ص 30.

(2) محمود فهمي زيدان : المرجع السابق ، ص 32.

أ. مصادرة التعددية "Pluralism" : وهي الاعتقاد بأن العالم مؤلف من عدد كبير جداً من الكائنات المستقلة بعضها عن بعض ، لكنها تتربط بعلاقات خارجية ، سواء كانت هذه الكائنات أشياء مادية جزئية أو وقائع .

ب. ال تفكر ، مجلد (1 ، 2) ، عدد (2 ، 1) ، 1421/2000 هـ جريبي مباشر . وعلى هذا النحو لا يمكننا فهم اي تعبير لغوي إلا إذا كان يتسير إلى خبرة حسية لنا ، فإذا لم نَعْرِفَ الأشياء في حدود خبرتنا الحسية فلن تكون لنا وسيلة لمعرفة أي شيء ، بل لن تكون لنا وسيلة للحديث عنها .

**محددات النظرية الذرية المنطقية :**

**يمكن إيجاز النظرية في ثلاثة مواقف أساسية :**

**أولاً : اسم العلم المنطقي (حد التحليل) :**

يحاول (رسل) و(فيتجنشتاين) في هذه النظرية إقامة تحليل لما يوجد في العالم من كائنات مركبة إلى أبسط ما يمكن تصوره من كائنات ، وتحليل القضايا المركبة التي تعبر عن هذه الكائنات إلى أبسط صور القضايا . وإذا سألنا : مم يتألف العالم ؟ فالجواب أن العالم يتألف من وقائع (Facts) لا من أشياء ( Things) ، وإذا قلنا إن العالم يتألف من أشياء جزئية فإننا نعبر عن هذه الأشياء بأسماء ، لكننا لا ندرك الأشياء إلا عن طريق إدراك صفاتها أو علاقتها مع شيء آخر ، حينئذ نقرّر أن لهذا الشيء أو ذلك صفة ما أو أنه على علاقة ما بشيء آخر . والتقريب غير التسمية ، لأن تقرير واقعة لا يسمى شيئاً . ولذلك لا يمكن الحديث عن أشياء إلا بافتراض أن لها صفات معينة أو أنها على علاقة مع أشياء أخرى ولذلك يفترض وجود وقائع ابتداءً . والشيء الجزئي عار عن أي صفة؛ فما هو إلا تجريد لا وجود له في واقع خبرتنا ، أما الموجود حقيقة فهو الوقائع ، والواقعة هي إثبات صفة لشيء أو إثبات علاقة ما بين شيئين ، ولا شك أن الأشياء وصفاتها وعلاقتها هي عناصر الواقع ؛ لذلك فإن كل الوقائع التي ندركها وقائع مركبة، ونعبر عن هذه الوقائع بالقضايا المركبة. والقضايا المركبة محتاجة هي الأخرى إلى تحليل وتصنيف؛ ولذلك يجب أن يكون لكل قضية معنى ، و لكل عنصر من عناصرها معنى أيضاً ؛ ومن ثم نصل إلى تحليل الواقعة المركبة إلى أبسط عناصرها ، وتحليل القضية المركبة إلى أبسط أنواع القضايا، وتسمى أبسط الوقائع واقعة ذرية "Atomic Fact" عند (رسل) أو واقعة أولية "Elementary" عند (فيتجنشتاين) . ونعبر عن الواقعة الذرية بقضية ذرية. والواقعة الذرية هي ما نعبر عنها بتقرير الخبرة المباشرة أو ما ندركه إدراكاً مباشراً ، وهذه هي القضية الذرية . فالقضية الذرية إذن - حسب تعريف رسل - . نوعان : قضية حملية بسيطة ، أو قضية شخصية ، وهي المؤلفة من حدين ويكون موضوعها اسم علم وقضية علاقية ، وهي المؤلفة من اسمين بينهما علاقة ، ولذلك تتألف القضية الذرية بنوعيهما من أسماء ومعها رابطة أو لفظ يدل على علاقة .

**ثانياً : إشكالية القضية العامة :**

رأى (رسل) أن هنالك قضايا غير ذرية وغير مركبة ومن بينها القضايا العامة، أو ما كان المنطق الصوري القديم يسميه (قضايا كلية) أحياناً و(قضايا حملية) أحياناً أخرى مثل (كل إنسان فان) . وقد أثبت المنطق الصوري الحديث أن هذه

القضايا العامة ليست عملية وإنما شرطية متصلة . ولما كان (رسل) يرى أن كل قضية تركيبية أو تجريبية تعبر عن واقعة ؛ فإنه يجب أن تعبر القضية العامة عن واقعة؛ وبالتالي تعبر عن واقعة عامة ، ولكن هل توجد وقائع عامة ؟ إن رفض أحد هذا القول فعليه: إما رفض وجود قضايا عامة وهذا أمر باطل ، أو افتراض وجود قضايا عامة تجريبية لكن لا صلة لها بعالم الواقع وهذا غير مقبول أيضاً ، وهذه هي مشكلة القضية العامة . . متي تصدق ومتي تكذب ؟ تصدق إن طبقت الوقائع ، وتكذب إذا جاءت واقعة منافية لها ، وستكون الواقعة هنا واقعة عامة ، لكن ما الواقعة العامة ؟ الوقائع دائماً جزئية مثل (شرب سقراط للسم) و(هزيمة نابليون عام 1815) و(غياب زيد عن الحضور) وهكذا رأى (رسل) بشيء من التردد أن القضية العامة قد تكون ربطاً متواصلًا بين قضايا جزئية ، لكنه رفض هذا الرأي لأننا إذا قلنا إن كل (أ) هو (ب) اختصاراً لعدد كبير من القضايا الشخصية مثل (محمد هو إنسان وفان) و (زيد إنسان وفان) وهكذا ، فإن القضية العامة بها أكثر من مجرد هذه القضايا الشخصية ؛ إذ تتضمن أيضاً قضية أخرى ، وهذه ذاتها قضية عامة وتدل علي واقعة عامة .

واختلفت المناطقة عن (رسل) في هذا الموقف إذ رأى (فيتجنشتاين) أن القضية العامة ليست غير مجموعة من القضايا الجزئية المترابطة، لكنه عاد فرفض هذا الرأي . ورأى المنطقي البريطاني (رامسي Ramsey) أن القضية العامة لا توصف بصدق أو كذب؛ وإنما نعتبرها قاعدة ترشدنا في تنبؤاتنا مثل قولنا (كل زرنوخ سام) ، فإنها تعني أنه إذا كان هذا زرنوخا فإننا نحكم بأنه سام .

ونجد المنطقي والفيلسوف الألماني كارل بوبر (K. Popper) يقول أن القضية العامة توصف بالصدق والكذب؛ لأنها تخضع لمعيار وإمكان التكذيب (Falsification) أي أننا نبحث عن حالة أو واقعة تكذب القضية العامة فإن وجدنا هذه الواقعة كانت القضية العامة كاذبة ؛ وإن لم نجد صدقت هذه القضية؛ وهكذا وجدنا أن بعض المناطقة يرون أن القضية العامة يجري عليها الصدق والكذب؛ وبعضهم الآخر يرفض ذلك . كما يضطر " رسل " إلى القول بالوقائع العامة التي تدل عليها القضايا العامة رغم صعوبة تصور هذه الوقائع ؛ ولأجل ذلك لم يستقر المناطقة على رأي موحد بشأن القضايا العامة : مم تتألف وعلام تدل ؟ .

### ثالثاً : تركيب اللغة مطابق لتركيب الواقع :

وهذا أهم جزء -في بناء اللغة المثالية- يعيننا في بحثنا هذا، وهو محور هذه اللغة وجوهرها وما المحددان الأولان إلا توابع لهذا المحدد .

دافع (فيتجنشتاين) في صياغته للنظرية الذرية المنطقية عن القول بأن اللغة تصوير (Picture) دقيق للواقع، وأن تركيب القضية الصادقة يطابق تركيب الواقعة التي تدل عليها، ويجب أن توجد في كل صورة علاقة بين عناصرها وعناصر ما تصوره ، أو يوجد شئ مشترك بين الصورة وما تصوره . وقد لا تبدو هذه المطابقة واضحة من أول وهلة ، لكننا لا ندرك أيضاً منذ الوهلة الأولى أن بين النوتة الموسيقية واللحن الموسيقي تشابه في التركيب ، ورغم ذلك نسلم بهذا التشابه . وكذلك الحال بين اللغة والواقع ، وأقل ما يقال دفاعاً عن هذا التشابه في التركيب بين اللغة والواقع أن الاسم يدل

على شئٍ فردي معين؛ وان الصفة في اللغة تطابق صفة محسوسة لذلك الشئ الفردي ؛ وأن الفعل يقابل علاقة ما بين شئ وآخر<sup>(1)</sup> .

وتصوير اللغة للواقع كمثّل خريطة أو رسم بياني ، أو كتصوير الأسطوانة الموسيقية للحن الصادر عنها . هذا فيما يتعلق باتجاه اللغة المثالية ، وننتقل الآن إلى بيان الطرف الآخر في الجدول.

### اتجاه اللغة العادية أو الطبيعية ( Ordinary Language ) :

#### نظرية فتجنشتاين المتأخرة ( مدرسة أكسفورد ):

في البدء تجدر الإشارة إلى أن اتجاه اللغة الطبيعية وفلسفتها يمثلان بالكامل مشروعاً لنقد فلسفة اللغة المثالية وتبيان استحالتها ، على اعتبار أن تقرير الوقائع ليس الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة ، كما أن العالم مؤلف من عدد هائل من الوقائع المركبة بحيث يستحيل ردها إلى وقائع بالغة البساطة بالطريقة التي صاغتها النظرية ، بل لا نستطيع تقديم معيار للبساطة المطلقة ولا التمييز بين البسيط مطلقاً والمركب ، كذلك لا يمكن لمثل هذه النظرية أن تتيح المجال إلا لما يمكن تسميته ( بالوعي وإمكان الفعل الجزئي ) . وحتى عندما حاولت النظرية التخلص من هذا المأزق ( وهو عدم إمكان تغطية كل فعاليات الحياة والوعي البشري كما هي بالفعل: أي تضييق رقعة الوعي ومن ثم الفعل ) بالحديث عن القضية العامة على أساس افتراض وقائع عامة فإنها وجدت أن الوقائع العامة تصوّر غامض ليس له تطبيق في الواقع . والإحراج المنطقي هنا هو : إما أن نسمح بوقائع عامة وإما أن نرفضها، فإن سمحنا بها سمحنا بما لا يطابقه واقع ، وإن رفضناها رفضنا القضايا وهي أغلب جمل اللغة العادية ، وهذا أمر غير مقبول أيضاً .

ويمكن إجمال الأمر كله في نقد اللغة المثالية علي الصعيد المنطقي حيث نجد أن لغة ( Principia Mathematica ) ( مثال اللغة المنطقية المثالية ) مكونة من دوال الصدق فقط ، وهي مبنية علي المنطق الماصدقي، لكن قد برزت في صميم هذه اللغة صعوبات جمة ؛ وهي صعوبات طرحت مسألة مهمة وهي : هل صحيح أن الجمل في كل اللغات ما هي إلا دوال صدق؟ ثم هل يمكن ترجمة كل اللغات إلى لغة ( Principia Mathematica ) ؟ . على ضوء تلك الصعوبات وجد كثير من المناطق أن اللغة المنطقية التي تقترحها الذرية المنطقية لا تفي بالغرض؛ ذلك لأنها لا تستوعب اللغات الطبيعية ؛ وأنه إذا كان هناك مبرر للتحليل اللغوي أصلاً فسوف يكون في تحليل اللغات الطبيعية وبيان استعمالاتها ووظائفها المختلفة . وهكذا فقد تغير تصور مفهوم الفلاسفة المعاصرين للتحليل إذ رفضوا التحليل الردي Reductive وصبوا اهتمامهم على تحليل اللغات الطبيعية<sup>(1)</sup>.

أما عن معالم فلسفة اللغة العادية ومنطقاتها باعتبارها نظرية في المعنى فيمكن إجمالها فيما يلي:

(1) محمود فهمي زيدان : في فلسفة اللغة ص ، 33 .  
(1) عبد الله محمد توم : المنطق واللغة والواقع في فلسفة الذرية المنطقية عند كل من رسل وفيتجنشتاين ، الأزمنة الحديثة ، الطبعة الأولى ، 1987 ، ص 106 .

**أولاً :** إن الدلالات التي يحملها مفهوم اللغة العادية ( Ordinary Language ) قد أوضحها رايل ( G.Ryle ) علي النحو التالي :

الاستعمال العادي للتعبير : حيث يكون المقصود بلفظ (عادي) هو الاستعمال القياسي ( Standard ) بوصفه قائماً ضد الاستعمال غير القياسي للتعبير .

استعمال اللغة العادية : حيث يكون المقصود بلفظ (عادي) هنا التعبير المشترك الذي يقال في مقابل التعبير الاصطلاحي أو غير المشترك .

العرف اللغوي ( Usage ) : وهو الاستعمال الشائع أو العادة اللغوية (1) .

**ثانياً :** إن الأصول الفلسفية لنظرية المعنى كاستخدام ( Meaning as Use ) ، واتجاه المعنى والدلالة في فلسفة اللغة العادية مستفادة مما عرضه ( فريجه G. Frege ) في كتابه ( أسس الحساب ) لاسيما ما جاء حول " فهم السياق " تمهيداً للعمل الرمزي . فيقول ( فريجه ) إننا لكي نجيب على هذا السؤال : ما هو العدد (7) ؟ لا بد أن نشرح معنى الجمل التي يقع فيها الرمز (7). وينبغي ألا نقع في خطأ السؤال عن معنى كلمة ما بمعزل عن غيرها من الكلمات، إذ أن الكلمة لا يكون لها معنى إلا وهي في سياق جملة ، فإذا سألنا عن معنى كلمة منعزلة عن غيرها اتجه ميلنا إلى أن تحي الإجابة وصفاً للصور الذهنية التي يستدعيها سماع هذه الكلمة؛ غير أن هذه الصور الذهنية لا تمت بصلة إلى معنى الكلمة ، وقد تستحضر الكلمة ذاتها صوراً متباينة في عقول أناس مختلفين؛ كما أن ألفاظاً مختلفة قد تثير صورة بعينها في عقل فرد واحد دون الآخرين . وعلى أي حال فإن الصورة الذهنية لا تحدد معنى الجمل التي تتضمن الكلمة . ويميز ( فريجه ) في موضع آخر بين سمتين لمعنى كلمة ما ، أحدهما : هي الصور والارتباطات التي تستدعيها الكلمة ، وهو ما يطلق عليه ( فريجه ) اسم (تلوين الكلمة)، والسمة الأخرى هي المعنى الذي تحمله هذه الكلمة في استعمالها الصحيح والتلوين ذاتي ويجوز أن يختلف من شخص إلى آخر، أما معنى الكلمة فموضوعي ، وهذه السمة - من سمات المعنى - هي وحدها التي تدخل في تحديد قيمة الصدق في الجملة التي تتضمن تلك الكلمة ، فإذا عرفنا كيف نحدد قيمة الصدق في الجمل التي تحتوي على الكلمة فإننا نعرف عندئذ كل ما يمكن معرفته عن معنى الكلمة ولا شيء آخر يطلب خلاف ذلك . ومن أهم الجمل التي يمكن أن يرد فيها حد مفرد تلك الجمل التي تعبر عن الأحكام الذاتية ، ويشير ( فريجه ) إلى أن اشتراطنا للمعيار الذي نعين به أفراد المجموعة (س) أمر ضروري لتحديد معنى كلمة (س)(1) .

**ثالثاً :** يقرر (فيتجنشتاين) القاعدة التالية : أنه بالنسبة لعدد كبير من الحالات - رغم أنه ليس كل الحالات - نستخدم فيها كلمة (معنى) فإنه يمكن أن يتم تعريفها على النحو التالي: المعنى لكلمة هو استخدامها في اللغة(2). فهو يفهم من كلمة

(1) محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، 1984، ص185.

(1) Frege, Gottlob : The Foundation of Arithmetic , logical Mathematical investigation into the concept of Number, translated by :J.L. Austin , Basil, Black well, Oxford , 1968,P.1.

(2) Philosophical Investigations, Translated by : G.E.M. Anscomb, Basil, :Wittgenstein, Ludwig

(معنى) ما يفهم عادة من عبارات كذلك التي تتحدث فيها عن معنى أي سلوك أو معنى أي فعل أو معنى أي شكل من أشكال الحياة. فهو حين يقول عن معنى أي كلمة إنه استعمال هذه الكلمة في اللغة فهو يعني أن المهم هنا هو (الهدف) أو (المقصد) الذي يرمي إلى بلوغه . وكما أنه قد يكون من العبث أن نتساءل عن (الموضوع) الذي تمثله هذه الحركة أو تلك من حركات اللعبة ، فإنه قد يكون من العبث أيضاً التساؤل عن (الموضوع) الذي تمثله أو تصوره أو تقوم مقامه هذه الكلمة أو تلك . صحيح أن في الإمكان تقديم بعض الإجابات المعتادة أو التقليدية على الأسئلة الخاصة بمعاني الكلمات ، ولكن ثمة سبيل أفضل إلى فهم طبيعة اللغة وذلك بالنظر إلى الطريقة العملية التي نستخدم اللغة في صميم حياتنا المعتادة على نحو ما ينظر المرء إلى أي جهاز أثناء تحركه أو دورانه في فهم طريقة استخدامه<sup>(2)</sup> .

إن ، السبيل الوحيد لمواجهة المشكلات الفلسفية المتعلقة بماهية اللغة أو بمعنى أي كلمة إنما يكون بفحص اللغة على نحو ما هي مستعملة بالفعل في العديد من الحالات. وما يبدو عليه الحال هنا هو بمثابة صورة من صور البرجماتية (Pragmatism) .

رابعاً : هذا الاتجاه في معالجة إشكالية المعنى يلفت الأنظار إلى نظرية جديدة في المرجع الدلالي للعلامة اللغوية . وذلك أن النموذج الأساس للسيمانطق الواقعي ((Real Semantic هو رؤية الوظيفة السيمانطيقية للغة في تمثيلها أو الوظيفة التصويرية وحدها ، وبناءً عليه فالسيمانطق الواقعي -على الأرجح- يتجه بوجه خاص نحو (الخطاب التصريحي) وفصل الفحوصات السيمانطيقية بشكل كامل عن أبحاث مثل : كيف تكون اللغة مستخدمة في الممارسة الفعلية . أما (فيتجنشتاين) فيقتفي أثر النقدية العملية ( Pragmatic ) في هذا التقارب الواقعي ، لأن فعل التحدث لديه هو في المقام الأول نشاط إنساني (Human Activity) مثل قطع الخشب ، وممارسة الرياضة ، وحرث الأرض وما إلى ذلك . وهذا النشاط يحدث في سياقات مغايرة تماماً للمواقف والأفعال ، وفيتجنشتاين يتحدث في إطار هذه الصلة عن مختلف أشكال الحياة (Forms of life) ولذلك فإنه يوجد العديد من سياقات الأفعال والمواقف ، كما يوجد أيضاً العديد من الطرق المختلفة لاستخدام اللغة ، ومن ثم توجد أيضاً العديد من ألعاب اللغة المختلفة<sup>(1)</sup> . وهذا قد يكون مبرراً لاتفاق فيتجنشتاين مع (فريجه) في قوله بالفصل بين المعنى (Meaning) والدلالة (Reference) إذ يحاول فريجه في مقاله (Uber Sinn) Und bedeutung حول المعنى والدلالة (1892) ، أن يميز بين (العبارة) باعتبارها متوالية مؤلفة من أشياء منطوقة أو إشارات مكتوبة، وبين (المعنى) الذي يرتبط بالعبارة ويختلف تمام الاختلاف عن الشيء الذي تشير إليه العبارة .

فالمعنى : هو الفكرة التي نعبر عنها باللغة ، وأنها تختلف عن الشيء الذي يقع تحتها أو عن الدلالة التي يشير إليها المعنى<sup>(2)</sup> . فعلى سبيل المثال : لا صعوبة في القول أن لاسم العلم المؤلف إشارة ، إذ وضح (فريجه)

(1) زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1968 ، ص 274،275.

(1) Kutschera , Franz von, Philosophy of language, D. Redel publishing company, Dotnecht, Holland- Boston U.S.A., Second Edition 1975, P. 108.

(2) ياسين خليل : نظرية جوتلوب فريجة المنطقية مجلة كلية الآداب: ص 319 ، 330 ، جامعة بغداد، 1967.

من قبل أن الوظيفة الأساسية لإسم العلم أن يسمى شيئاً محدداً ، إذ يشير اسم ( أرسطو ) إلى الفيلسوف الإغريقي الذي سمي بذلك الاسم ، ويشير اسم (القاهرة) إلى عاصمة مصر ، وهكذا ، لكن (فريجه) أراد أن يميز إشارة اسم العلم المؤلف من معناه : (تلميذ أفلاطون) و(معلم الإسكندر) عبارتان تشيران إلى شخص واحد وهو (أرسطو) لكن معناه مختلف ؛ ولذلك فإننا نفهم من العبارة الأولى ذلك الشخص الذي كان طالباً لامعاً في أكاديمية (أفلاطون) وشهد له أستاذه بسعة الإطلاع ورجاحة العقل ووجاهة انتقاداته. ونفهم من العبارة الثانية ذلك الشخص الذي اختاره (فيليب المقدوني) مريباً لابنه والذي لقن الابن دروساً في علمي الأخلاق والسياسة وهما عبارتان مختلفتان في المعنى رغم وحدة الإشارة<sup>(3)</sup>.

خامساً : منهج ألعاب اللغة (Language Games Method)

أمكن وضع التصنيف الدلالي لـ (ألعاب اللغة) على أنحاء عدة حيث يميز ستروصن "Strowsan" في مراجعته لبحوث فلسفية (Philosophical Investigations) لـ (فيتجنشتاين) المعاني التالية لهذه المقولة :

يستخدم (فيتجنشتاين) هذه العبارة (ألعاب اللغة Language Games) للدلالة على أية طريقة خاصة ، أصلية أو صناعية لاستخدام اللغة و المضمون الكامل للغة والأفعال في حالة تضافر. واشتجملير Stegmuller في جهة أخرى قد أوحى: أن (فيتجنشتاين) يقصد بألعاب اللغة أحياناً هذه المناهج لاسيما الملاعبة التي عن طريقها يتعلم الأطفال استخدام لغتهم الأم والنماذج البسيطة للغة ، و اللغة العادية بكاملها مع النشاطات المتداخلة . ووفقاً لكلا القضيتين يمكن أن نفهم بـ (ألعاب اللغة) ما يلي:

- (أ) أشكال معينة أولية ومبسطة كتلك المستخدمة لدى الطفل عندما يتعلم لغة ما والتي من الممكن إنشاؤها اصطناعاً.
  - (ب) اللغة اليومية العادية مع كل النشاطات والإنجازات غير المنفصمة عنها.
  - (ج) انساق اللغات سواء كانت جزئية أو فردية أو معينة أو كيانات وظيفية أو سياقات تطبيقية هي جزء من نظام كامل<sup>(1)</sup>.
- وعموماً فإنّ مصدر تقسيم فعاليات اللغة الجارية إلى مجموعات لغوية تسمى ألعاب اللغة تصلح كل منها قواعد للاستخدام ، وهي النظر إلى الألفاظ اللغوية باعتبارها أدوات ((Tools) ، أو وسائط تكنولوجية (Means) Technical تكشف عن طرق معينة للحياة وتعبر عنها .

ونلاحظ أيضاً أن المنطق التقليدي كما هو معروف يعني من الجمل : تلك التي تقدم لنا تقارير عن واقعة معينة وتلك التي تقرر قواعد يرتبط بمقتضاها قولان أو أكثر على هيئة استدلال صحيح كما هو معروف في المنطق الأرسطي . وكان فيتجنشتاين قد سلم بذلك في الرسالة ( Tractatus ) وإن كان قد أعطاه تفسيرات جديدة ، إلا أنه قد جاء في كتاباته المتأخرة ليتبنى موقفاً ضد هذا الموقف الذي اتخذته في كتابه المتقدم ، فذهب إلى أن هناك أنواعاً لا تحصى من الجمل يرتبط

(3) محمود فهمي زيدان : المنطق الرمزي ، نشأته وتطوره ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر 1989 ، ص 158-159.

(1) محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة .

بعضها بالآخر بطرق كثيرة ، ولكل نوع من أنواع الربط منطقته الخاص به، وما دامت هذه الاستعمالات اللغوية متعددة ويصعب حصرها كان الشيء الذي له أهمية ليس هو توضيح مجموعة القواعد التي يكون الكثير منها غامضاً ومجال تطبيقها غير يقيني ، بل تطوير مهارة في الإدراك السريع أياً كان الملمح المنطقي المطلوب إذا شئنا أن نتجنب الغموض.

سأبدأ : إن الطريقة التي يمكن أن نلاحظها في فض مغاليتي العقل الآخر (Other Minds) المنتمي إلى جماعة لغوية معينة وكشف (ألعاب لغة ) خاصة هي طريقة المعاشية التي اصطنعها من قبل المذهب الظاهراتي (Phenomenology).

ويمكننا أخيراً أن نشير إلى بعض الانتقادات التي وجهت إلى هذا الاتجاه الفلسفي ، فمن أهم الآراء النقدية التي وجهت إليه ، هو ما ساقه كارل بوبر في كتابه منطق الكشف العلمي ، ( The Logic of Scientific Discovery) حيث يقول : (يعتقد محللو اللغة، أنه ليس هناك مشكلات فلسفية أصيلة أو أن مشكلات الفلسفة هي مشكلات الاستخدام اللغوي (Linguistic Usage) أو معنى الكلمات ( Meaning of Words)، ورغم ذلك فإنني أعتقد أن هناك على الأقل مشكلة فلسفية واحدة يعكف عليها كل المفكرين وهي مشكلة الكوزمولوجيا . وبالنسبة لي أعتقد أن تلك هي أهمية الفلسفة ، وأن الفلسفة لا تقل أهمية عن العلم. وعلى أية حال فإن كلاً من الفلسفة والعلم يفقدان كل جاذبيتهما لو تخلينا عن مواصلة السعي ، ومن المعترف به أن فهم وظائف لغتنا جزء هام منها ، ولكن شرح مشكلاتنا بعيداً عن اللغة من المعضلات المحيرة .

ومحللو اللغة ، يعتبرون أنفسهم بمثابة ممارسين لمنهج مميز تجاه الفلسفة ، وأعتقد أنهم على خطأ لأنني أعتقد في الرسالة التالية أن الفلاسفة باعتبارهم يستخدمون أي منهج في البحث عن الحقيقة ، وأنه لا يوجد منهج مميز للفلسفة. ورسالة أخرى أود أن أقدمها هنا وهي أن المشكلة الرئيسية للابستمولوجيا ( Epistemology) كانت ولا تزال دائماً هي مشكلة نمو المعرفة (Growth of Knowledge) ، وأن نمو المعرفة ، يمكن أن يدرس على أحسن وجه عن طريق دراسة نمو المعرفة العلمية ، ( Knowledge) Growth of Scientific .

ويقول :

(والآن يمكنني أن أرد على أولئك الذين يفضلون هذا المدخل لنظرية المعرفة، بما يلي : رغم أنني أذهب إلى أن المعرفة العلمية هي مجرد تطور للمعرفة العادية أو معرفة الفهم المشترك الشائع ، إلا أنني مقتنع تماماً أن معظم المشكلات الهامة والمثيرة للابستمولوجيا ستبقى غير منظورة تماماً لدى أولئك الذين يحددون أنفسهم بتحليل المعرفة العادية أو معرفة الفهم المشترك الشائع أو صياغتها في اللغة العادية . ويختتم نقده بقوله : (ومعظم الفلاسفة الذين يعتقدون أن موضع اهتمام منهج الفلسفة هو اللغة العادية أضلهم التفاؤل الذي يسيطر على الاتجاه العقلي ، ويبدو أن اتجاههم قد مني بخيبة الأمل . إنهم لم يتركوا تقدم المعرفة للعلماء ؛ بل عرفوا الفلسفة بطريقة تصبح بموجبها من حيث التعريف غير قادرة على الإسهام في معرفتنا عن العالم. أنه لا يوجد مثل ذلك الشيء الذي نقول عنه (جوهر الفلسفة) لنضعه في تعريف أو نستبعده منه ، فتعريف كلمة (فلسفة) يمكن أن يتسم فحسب بخاصية الاصطلاح على إتيان ، وعلى أية حال فإنني لا أجد أي حرج في الاقتراح

التعسفي لتعريف كلمة (فلسفة) بطريقة تمنع دارسي الفلسفة من إسهامهم في تقدم معرفتنا عن العالم . ويبدو لي أيضاً أنه من المخالفة أن الفلاسفة الذين يفتخرون بالتخصص في دراسة اللغة العادية يعتقدون أنهم يعرفون ما فيه الكفاية عن الكوزمولوجيا ليتيقنوا أنها من حيث الماهية مختلفة عن الفلسفة ، لأن الفلسفة لا يمكنها أن تقوم على أساس الكوزمولوجيا . وفي الحقيقة هم على خطأ ، لأنه من الحقائق المسلم بها أن الأفكار الميتافيزيقية البحتة ومن ثم الأفكار الفلسفية ذات أهمية قصوى للكوزمولوجيا ، فمن (طليس) إلى (اينشتاين) ومن الذرية القديمة إلى تأملات (ديكارت) عن المادة ، ومن تأملات (جلبرت) و (نيوتن) و (لايبنتس) عن مجالات القوى - أضاءت الأفكار الميتافيزيقية معالم الطريق . تلك هي باختصار أسباب اعتقادي بأنه حتى من خلال وظيفة الإيستمولوجيا أن المدخل الأول المذكور آنفاً ؛ أي : مدخل تحليل المعرفة عن طريق تحليل اللغة العادية يصبح ضيقاً ، وبذلك تضيق من بين يديه معظم المشكلات الشيقة<sup>(1)</sup> .

ومن جهة أخرى تعيب المدرسة اللغوية المعاصرة التي يؤمها نعوم تشومسكي Chomsky على (فيتجنشتاين) أنه يأخذ اللغة العادية كما هي في استخدام رجل الشارع بلا تنظير أو وضع أسس للتركيبات اللغوية التي ينطقها الرجل العادي . بينما يحاول (فيتجنشتاين) الفيلسوف تجاهل المشكلات الفلسفية كما يضعها الفلاسفة أو اعتبارها مشكلات وهمية ، وذلك بإعادة الألفاظ التي يستخدمونها إلى استخدام الرجل العادي الذي لا تهمة مشكلات الفلاسفة وبالتالي يرى مشكلات الفلاسفة أو هاماً ، إذن فإن هذه المدرسة اللغوية تبحث في اللغة بحثاً يتضمن تفسير استخدام اللغة بالاستعانة بنظريات الفلاسفة<sup>(2)</sup> . وأخيراً : ليس الاستخدام المألوف لكلمة ما معياراً لمعناها الصحيح إذا كنا نبغي الدقة في استخدام الألفاظ خاصة في العلوم . كما أن للفلسفة مصطلحاتها التي لا تشغل بال الرجل العادي ولا يوضحها الاستخدام العادي ؛ ولكن توضحها جهود الفلاسفة<sup>(1)</sup> .

ويمكن القول في ختام هذا المبحث أن هذا الجدل يوضح ما بين المذهبين من قصور ومكملات ، الأمر الذي يمكننا من تحقيق التوليف بين الموجبات في كلا الطرفين مما يؤدي إلى تحقيق لغة مثالية ليست جزئية بل كلية ، والأمر هنا برمته هو معالجة أساسية لآليات الفهم البشري ، إذ أن هناك تكمن المشكلة .

بعد هذه المقدمات الضرورية والتي تمثل الحد الأدنى - أي يمكن للأمر أن يتسع أكثر من ذلك- يمكننا الدخول إلى مرحلة تحقيق أو بناء المشروع في القسم الثاني من البحث .

## (2) بناء اللغة المنطقية المثالية الكلية الحققة

### (أ) الأساس الفلسفي

#### منطق التعامل مع كلام الله :

(1) محمود فهمي زيدان : في فلسفة اللغة.

(2) المرجع السابق.

(1) المرجع السابق.

إن الأنماط الدلالية للوعي تثير إشكالية غاية في الخطورة عبر مفردات الخبرة العلمية وخبرة الحياة اليومية التي قد تكون مصوغة في قوالب منطقية تتيح لكثير من المفارقات "Paradoxes" والمتناقضات الولوج إلى حيز الفهم ، مما يسبب نوعاً من ضياع التفسيرات السببية الحقة لظواهر الوجود على المستويين الفيزيقي والميتافيزيقي ؛ فيتفق والقول بالنسبية ، وربما وصل الأمر إلى أبعد مدى له في الإغراق في الذاتية ، فيصبح بذلك الوجود عبارة عن (كهف أفلاطون) بالمعنى الذي أشار إليه (بيكون) (Francis Bacon 1626 - 1561)) الفيلسوف التجريبي الإنجليزي ، وهو تعبير عن ذلك الذي يعيش على تأويلاته الخاصة والتي ترسبت أصولها في وعيه من سلسال طويل في حقبة ومجتمع معين .

وهنا لا يصح فقط الوصف والنقد (لأوهام الكهف) هذه ، بل تجدر المحاولة للتغيير وهو -أي التغيير - متعلق بالرسم الكلي للوجود من خلال ما يسمى بالنموذج أو ( Paradigm) الذي يحدد لمادنية وجود الكائن من جهة علته الأولى وغايته النهائية . وتتضح تجسيدات هذه الإشكالية ، في تناول العقل لكلام الله فيما يسمى (بالتأويل) .

فالتأويل ما هو إلا محاولة لإضفاء أبعاد دلالية معينة على النص أو العلامة اللغوية . ويمكننا إيضاح ذلك عبر عدة

محاور :

أولاً : إن قراءة تاريخ الحركات الإسلامية ومجادلات علماء الكلام تؤكد ضرورة وضع وتناول الإشكالية في إطار ( المعنى كاستخدام ) "Meaning as Use" وهي الفكرة القائلة بأن معنى العلامة اللغوية يتم فهمه بالتوافر على رؤية الكيفية التي تستخدم بها العلامة اللغوية في نطاق معين والقصد من هذه الكيفية في الاستخدام ، وذلك باعتبار أن اللغة ما هي إلا تعبير عن طريقة في الحياة ( Way of life) الأمر الذي يؤدي إلى اتساع الحقل الدلالي للغة بتقادم العصور لتصبح المحصلة النهائية هي فهم (العقل الآخر) "Other Mind" أو عقول الآخرين.

هذا الفهم للغة هو الذي يمنحها خاصيتها كأداة تحتل المرتبة الأولى -في الأهمية- في الثقافة الفكرية لجماعة من الجماعات . لذا يمكن للمتوافر على دراسة حركات الجدل العقدي في الإسلام أن يلاحظ دفاع كل طائفة من المتكلمين عن اتجاهاتها بعدد من النصوص بينما تستشهد بنفس النصوص طائفة أخرى دفاعاً عن اتجاهاتها المغايرة لتلك الأولى تماماً . إن الإشكالية هنا تكمن في الاستعمال للنص وفهمه بكيفية معينة، لذا تعددت التأويلات.

فالتأويل - إذن - يعتمد على الفعاليات العقلية وليس الأمر قاصراً -مع العقل- على خضوع التقييم لدائرة مفردات الخبرة المعطاة كمدرجات عبر الحس وأدواته، وإنما كيفية التكييف والتأليف لهذه المفردات في تصورات ومقولات ومفاهيم ، تقوم بفعالها في استنطاق الواقع واستنباط الفروض وتوافر ما يمكن تسميته (بزواية الانتباه) بصدد التعميمات العلمية وتحديد نطاقها القيمي وهذا ما هو حادث بالفعل وما قد حدث من قبل .

ثانياً : أما ما ينبغي أن يكون هو لفت الانتباه إلى ضرورة فهم كلام الله باعتباره مفاتيح الوجود الحقة من خلال معرفة كيفية استخدام القرآن للمفردات اللغوية ومقصده منها ، وكيف تكون العلامة اللغوية أو الكلمة أو الجملة مستعملة في القرآن وبأي قصد - وأشير هنا إلى مقال الدكتور محمد البوصيري في مقاله بمجلة (التأصيل) العدد الأول بتاريخ 1994/12م

حول نقل ألفاظ القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية (التعدد الدلالي للفظ فتنة) كمثال على المعنى الذي أردت أن أشير إليه حيث يظهر هذا المقال كيف أن كلمة واحدة يمكن أن تتعدد دلالاتها حسب ورودها في السياقات المختلفة وقد ظهر هذا جلياً عند ترجمتها إلى لغة أخرى ، فكان المقابل القاموسي للكلمة العربية في اللغة الإنجليزية يمثل جزءاً ضئيلاً من الحقل الدلالي المتسع للكلمة وفق الاستخدام- وهذا لن يتم إلا من خلال كشف الواقع عن نفسه بالكشف العلمي ((Scientific Discovery بما لا يدع المجال للأغاليط والمواقف الذاتية في التفسير ، تماماً كمثال قانون الجاذبية الذي يفرض نفسه على الكل ، من شاء ومن أبقى ، فأنت إذا قفزت إلى أعلى حتماً ستسقط إلى الأسفل دون قدرة على فعل العكس وهذا ما يمكن تلخيصه في مقولة ( القاعدة المشتركة ) أو (الإطار اللاوجودي) Non-Existential وهو الرابط المحتم للأنا المفردة مع المجموع .

**ثالثاً :** نلاحظ أن تطبيق قاعدة ( المعنى كاستخدام ) في اللغات الأخرى - غير كلام الله - يعتمد على فكرة (ألعاب اللغة) أو المجموعات اللغوية ، على نحو ما أشار إليه (فيتجنشتاين) في كتابه المتأخر (بحوث فلسفية) وليس عن طريق المقابلة الواقعية التي هي خاصة ( اللغة المثالية ) عند أصحاب (الذرية المنطقية) .

أما في التعامل مع كلام الله تعالى فالأمر هنا يحتاج إلى توليفة منطقية من نوع خاص تستند على مسلمة الإيمان بالله والإيمان بالقرآن الكريم باعتباره كلام الله تعالى، وذلك أن تطبيق قاعدة المعنى كاستخدام حتماً لن يتم إلا من خلال المقابلة الواقعية والإلزام المحتم الخاص بمفهوم (القاعدة المشتركة) أي أن نفهم القصد عن طريق الانتباه (للمعنى كاستخدام) لضبط فهم النص بشكل لا يحتمل التأويلات المختلفة عليه . وذلك عن طريق أداة اللغة المثالية في المقابلة الواقعية ، إذن فكلام الله تعالى هو اللغة المثالية الوحيدة الممكنة ، وعلى ذلك لا يعتبر كلام الله نموذجاً أو (Paradigm) يحكم به الوجود فحسب ، بل هو الوجود عينه ، بمعنى الوصف الكلي الضروري له .

**رابعاً: من هذا يتأكد لدينا نوعان في الوعي :**

(أ) الله تعالى : صاحب الوعي الكلي بالوجود ، وهذا الوجود كلمته (كن فيكون) دونما ظرف زمني ولا فرق وجودي بين فعل النطق وفعل الوجود ، بين الكلمة ، ومادتها المتحققة عياناً (والله أعلم) ، لذا صارت تلك هي اللغة المثالية الممكنة.

(ب) الإنسان : صاحب الوعي المتنامي على طريق المعرفة الكلية بالوجود . والانتقال لديه من مرحلة معرفية إلى مرحلة معرفية أعلى لا يتم إلا بالكشف العلمي ، فهو وحده الفعل المحقق لمنطق ( القاعدة المشتركة ) الملزمة . وحقيقة الكشف العلمي ليست سوى تجليات مزيد من مفردات الكون والطبيعة أمام الحواس العادية ووسائطها التكبيرية من آلات وتجهيزات مخبرية توسع رؤية الإدراك الحسي الطبيعي ، فإن مكونات الخبرة الإنسانية ما هي إلا مفردات قد مرت أمام منافذ الإدراك الطبيعي للإنسان سواء بقدراتها العادية أو الموسعة بواسطة الأجهزة ثم يتم التعامل معها بعد ذلك بكيفيات الإدراك من مقولات وتصورات ومفاهيم بل وقيم كذلك ، والمثال الذي يمكن أن يضرب لإيضاح مثل هذا المذهب هو بتخييل شخص ولد ونشأ وعاش في غرفة ليس بها سوى اللون الأحمر والأخضر والأصفر فقط ، فهل سيجد

في ذهنه تصوراً للأسود والأبيض والأزرق بالإضافة إلى ألوان غرفته إذا ما ذكرت أمامه كلمة ( لون ) ، هذا هو المقصود بفكرة ( كهف أفلاطون ) فبطبيعة الحال لن يتداعى إلى وعيه إلا ما قد أطلعت عليه حواسه ، فكلما ازداد اكتشافه لمفردات الوجود نمت لديه حصيلة خبرته بشكل مطرد وهكذا ، وحصيلة الخبرة هذه هي الإطار الذي يدور داخله التكيف في الأمور التي تحتل التأويل ، إذ لا يمكن لإنسان الخروج عن حيز أو نطاق خبرته ، وتقاس بخبرة العالم الواقف على قمة مرحلة الوعي البشري في عصر من العصور . لذلك خص الله تعالى (الراسخون في العلم) بمعرفة التأويل في القرآن الكريم ، ولا يجوز من بعد الاعتذار بالجهل لمن هم حاضرون في هذه المرحلة من تطور الوعي .

اذن ، فتحقيق الفهم لكلام الله مرهون بالكشف العلمي لنواميس الله في الطبيعة، وهذا من المستحيل أن يتم دفعة واحدة وإلا صار الإنسان صاحب وعي كلي ، ولكن ما تم كشفه فقد ثبت وما لم يتم كشفه بعد فلا بد من أعمال القياس الذي لا مفر منه هنا ، وذلك بخلاف ما ذهب إليه كانط (I. Kant) في نقده لميتافيزيقا العقل المجرد وهو (أن العقل لا بد أن لا يتجاوز إلى ما وراء إمكانياته الحقيقية في إدراك الظواهر) ف(كانط) في سبيل تحديد فعاليات العقل يفصل بين ظاهر يمكن إدراكه وبين جوهر - أو الشيء في ذاته - لا يمكن معرفته عن طريق العقل بشقيه الحدوس الحسية والمقولات الذهنية" فإن لم نستطع في عصرنا هذا ومرحلتنا العلمية هذه أن نعلم (الكل) فلا أدنى من أن نحذق (الجزء) الذي بين أيدينا ، والأمر على كل حال في طريق التنامي المعرفي المستمر والتطور . وتبقى ضرورة تحديد (المادنية الأنطولوجية) وإن كان ذلك يشتمل حتماً على تصورات ميتافيزيقية يأتي بها القياس ، ولكنها الضرورة لتحقيق نظم المجتمع وبناء الشكل الكلي للعلوم وهو الحضارة .

ولا بد من الإشارة إلى أن المقصود بالتصورات الميتافيزيقية هنا ليس الميتافيزيقيا التقليدية التأملية ، بل هي الفرض أو الفروض العلمية القابلة للتحقق ، أما فيما يتعلق بالميتافيزيقيا التأملية ( وهي إصدار الأحكام الفلسفية الكلية على الوجود على نحو عقلي مجرد ) فقد نتفق مع الدكتور زكي نجيب محمود ( رحمه الله ) في رأيه الذي أورده في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه ( موقف من الميتافيزيقيا ) وهو التفرقة بين أن يبني الفيلسوف بناءه الفكري في ذهنه ثم يزعم أنه تصوير لحقيقة الكون كما هي قائمة في الوجود الواقعي خارج ذهن الإنسان صاحب البناء - كما فعل (أفلاطون) مثلاً في تمييزه لحقيقة الموجودات كلها في عالم مفارق لعالمنا هذا وأن ماهية الموجود بالتالي تنفصل كونياً عن شخصية المشاهد الجزئي- ويستند في هذا على منطق عقلي رياضي مجرد . وهذه هي الفروق بين الميتافيزيقيا التأملية والميتافيزيقيا النقدية التي تقوم على تحليل العلوم ونتائجها لضمان صدقها واستقامتها على درجة من درجات الاحتمال . إذن ، فيما يتعلق بالعقيدة الدينية فأمرها يختلف عن الميتافيزيقيا التأملية ، فصاحب الرسالة الدينية (الرسول عليه الصلاة والسلام ) لا يدعي فكرة رآها ببصيرته ،

بل يقدم رسالة أوحى بها إليه ربه لإبلاغها ، وهنا يكون مدار التسليم بالرسالة ليس البرهان العقلي على صدق الفكرة الكلية ونتائجها المستدلة عليها في المقام الأول ، بل يكون مدار التسليم هو التصديق والإيمان<sup>(1)</sup> .

هذا كله يشير إلى قضية أن الإشكالية تكمن في الفهم . وكما سلف ، يمكن أن تعطينا قاعدة تفسير المعنى كاستخدام التي عمل على اكتشافها (فيتجنشتاين) - أداة قيمة وفعالة لتفسير نضج الفهم الديني المتوافق مع نضج التفكير العلمي من جراء عملية الكشف العلمي. ، حتى أنه يمكن لي أن أدعي الاجتهاد في تحقيق إمكان خاصية الفرض العلمي والقانون العلمي من آيات التنزيل - بناء على مسلمة عدم الانفصال الزمني والماهوي بين فعل النطق وفعل الوجود عند الله تعالى - كن فيكون - ) ذلك الانفصال الذي حدث في المنطق بين صورة الفكر ومادته من جراء الإفراط في التجريد العقلي). وذلك عبر توليفة منطقية من معياري (الاتساق Coherence) و (التطابق Correspondance) في الصدق ( Truth) تعتمد على الوحدة البنائية والتفسيرية لكلام الله وحتمية فهمه وفق هذه الوحدة .

وهذا ما سنوضحه في المبحث التالي.

(ب) الأساس العلمي

#### إمكان الفرض Hypothesis والقانون Law العلمي لآيات التنزيل :

إن الجدل الدائر بين فلاسفة القرن العشرين قد أظهر جلياً حتمية نوع المخاض الفكري المنبثق من المرحلة العلمية ؛ وهو القاضي بضرورة الصياغات المنطقية والفلسفية المنطقية لكل ما يقدم من أطروحات حول مناهج معالجة الفهم وقضايا الصدق والتحقق . ونحن بدورنا طالما أبعدنا - وفق العقل العلمي للقرن العشرين - العقيدة عن الفلسفة وجعلنا الفلسفة نشاطاً تحليلياً منطقياً للعقيدة ، لا بد لنا إذاً من استنباط وتأسيس المنهجية المنطقية للفهم والعمل فيما يتعلق بالكتاب المنزل ، وهذا ليس بالأمر الذي يمكن أن يتأتى إلا بإعمال أدوات التحليل الواحدة تلو الأخرى حتى نصل إلى مرحلة النضج الصوري المنطقي في فهم القصد الإلهي من النصوص الدينية.

من هنا - وبعد هذا - يمكن لنا تحديد القصد من استخدام مصطلح ( اللغة المثالية ) بأنه صياغة الشكل المنطقي الأكثر تفصيلاً لقضية إسلام المعرفة وهيئتها وبنيتها من خلال استنباط وتأسيس هذا الإطار المنطقي المتضمن بالضرورة تفاعل نظريتي (الاتساق T. Of Coh) و (التطابق T. Of Cor) في الصدق ، والتي إن طبقتها بالكيفية المعنية أعطتنا في المحصلة - بناء على مسلمة عدم الانفصال الزمني بين فعل النطق وفعل تحقق الوجود عند الله تعالى في قوله (كن فيكون) تصورات الإشكالية العلمية لكلام الله في أفهام البشر أو حلاً إيضاحياً لقضية إمكان اعتبار خاصية (الفرض العلمي) ومن ثم (القانون العلمي) إلى مرحلة (القانون العلمي) من مقتضيات العقل البشري ذي الخاصية المعرفية المتنامية المعتمدة على دائرة الكشف العلمي ومن ثم الاتساع المستمر لمفردات الخبرة ، وهو ما ظهر في قول العبد الصالح لـ (موسى)

(1) زكي نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقا ، دار الشروق ، القاهرة ، 1986 .

: (إنك لن تستطيع معي صبراً) سورة الكهف - الآية 67 - حتى تتم الإحاطة - من معالجة مسألة الفرض العلمي والقانون العلمي في دائرة نظريتي الاتساق والتطابق .

ولا بد أن نلاحظ قبل الدخول إلى معالجة هاتين النظريتين أن معيار الصدق في قاعدة المعنى كاستخدام على الأرجح هو (الاتساق) أما معيار (التطابق) فهو أقرب إلى اعتباره أساساً منطقياً للغة المثالية على النحو الذي أقرته مدرسة (الذرية المنطقية) . هذا إذا تناولنا كلا منهما- اللغة المثالية واللغة العادية- على حدة . ولكن في صدد إثبات اللغة المثالية الوحيدة الممكنة (وهي كلام الله) التي نستلهم في فهمها -في ذات الوقت- منهجية المعنى القصدي (ويعني أن كل وعي هو وعي بشيء ما ، ويتغير هذا الشيء بتغير زاوية الانتباه المباشر) ونحتاج بالمثل إلى توليفة الإتساق والتطابق كإطار منطقي يحقق - كما نتوقع ونرجو - الكشف العلمي من باطن آيات التنزيل مقروءة كجملة ( Sentence أو قضية ( Proposition منطقية واحدة، ومن ثم يتحقق مزيد من الوعي بالمعنى القصدي لكلام الله تعالى والوقوف على فهمه أكثر فأكثر ، وبذلك يتم تسخير إمكانات الوجود واستغلالها وتقنين المجتمع بصورة أفضل .

#### فلنحلل إذن هذه التوليفة المنطقية :

أولاً : معيار الاتساق ( Coherence )

مرحلة الفرض العلمي ( المرحلة الميتافيزيقية ) :

وفقاً لهذه النظرية يتأسس الصدق على الاتساق الداخلي للقضايا في نسق محدد ، وأي قضية جديدة تكون صادقة إذا كان بمقدورها أن تدخل إلى النسق دون أن تحدث تشويشاً في عدم التناقض الداخلي ( Non- Contradictoriness ) للنسق .

وكون القضية صادقة يعني أنها تكون عنصراً في نسق غير متناقض ، وعلاوة على ذلك إن النسق يكون مفهوماً بمعنى بناء للغة متطورة استنباطاً من حاصل جمع المسلمات (Axioms) المتعارف عليها . أي بقول آخر ، إن نظرية الاتساق تشير إلى أن القضية تكون صحيحة إذا ما جاءت متسقة مع الحقائق التي سبق أن سلمنا بها والقضايا التي قبلناها من قبل وسلمنا بصحتها ؛ فلو قلت عبارة غير متسقة مع ما سلمت به كانت كاذبة ، وإذا جاءت متسقة مع هذا الذي قبلت وسلمت به كانت صادقة .

وخير مثال لهذا النوع من الصدق أو الحق هو ما نجده في الرياضيات والمنطق . ، إلا أن الصدق هنا لا يعبر عن صدق واقعي بالضرورة ، لأن كل ما يمكنه أن يكون لدينا مجرد اتساق منطقي لا تربطه علاقة ضرورية بالواقع وبالعالم الموضوعي . وفي مجال نصوص التنزيل ، فإننا قد نلاحظ أن ميعاد نزول القرآن الكريم أتى بعد بلوغ الوعي البشري مرحلة من النضج ، وذلك على مستوى العالم وليس على مستوى الجزيرة العربية . فحين نزول القرآن كانت قد تبلورت لدى اليونان - على سبيل المثال - مفاهيم العلم والمعرفة والمنطق والقيم والفنون التي كانت لها مناهج محددة وإطار تجريدي محايد . كما أصبح بعضها منطقات ومسلمات علمية ومعرفية ومنطقية حتى يومنا هذا ؛ ومن المعلوم أن فضل اليونان في إفادتهم من كل

حق و ارد من حضارات الشرق والغرب السالفة وصوغها لأول مرة تحت مفهوم (العلم Science) وتجريد العلوم وتحديدتها وتصنيفها . وهذا ما يجعل القول بأن القرآن قد نزل بعد بلوغ مرحلة يمكن أن يبنى فيها القياس الاتساقى وفق ما يسمى بالمعارف أو الخبرة السابقة ( العلمية والمعرفية) قولاً مقبولاً . فإنّ يمكن أن يعطى لنا هذا المعيار حدثاً بلاغياً حول ورود كلمة معينة في جملة في إطار إشكالية معينة ويؤدي بنا إلى حساب احتمالات للمترادفات والكلمات الأخرى التي كان من الممكن ورودها في الجملة بدلاً من تلك، ولكن الاستخدام القصدي يحتم ورودها دون الأخريات الممكنة مما يثير الفضول العلمي ويتحول النص إلى (فرض Hypothesis) يشير إليه التفسير الاتساقى الناتج عن القراءة الوجودية الكلية لنصوص التنزيل بكاملها ، ثم تأتي المرحلة الأخرى لاختبار الفرض تجريبياً على المستوى الطبيعي أو الاجتماعي والإنساني.

ونجد مثال ذلك في قوله تعالى (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ....) سورة الحج الآية : 73 ؛ فعلازمة (الاستنقاذ) هنا أشار إليها اتساقها في النص بالشكل الذي يحدث تساؤلاً حول مدى احتمالات حتمية ورودها في ذلك السياق وحساب الاحتمالات هو ما يحقق الفرض العلمي مع مراعاة اتساقه مع بقية الثوابت المعرفية العلمية السابقة.

فتقول لماذا لم تأت كلمة (استرداد) أو (استخلاص) أو (استرجاع) بدلاً عن (استنقاذ) وهذا وفق علمنا بأن الضد المناسب لكلمة (سلب) هو (الاسترداد) أو (الاسترجاع) وهو أقرب كثيراً من (استنقاذ) ؟ إذن لابد أنها تفيد ما لا تفيد الأخرى . ف(استنقاذ) توحى بأن الشيء سيفنى أو سيموت ، وليس لدى الإنسان القدرة على إنجائه من هذا الفناء أو الموت. ولكن كيف يموت أو يفنى ونحن من الممكن – عن طريق مكبرات الرؤية- أن نلاحظ الذرة التي حملتها الذبابة ، مكبرة مئات الأضعاف؟ أفعجز حينئذ عن تخليصها منها؟ إذن نفترض أن هناك تغييراً ما هوياً يحدث للشيء فلا يعود كما هو بعد أن يسلبه الذباب. وهذا يقتضي افتراض أن الذباب يفاعل المادة المسلوبة كيميائياً فتتغير . هنا يأتي دور (المعمل) والتجريب فإذا ما ثبت هذا صار قانوناً علمياً، كما تصاغ قاعدة أخرى مفادها أن المادة بعد أن يحولها الذباب كيميائياً لا يمكن إعادتها سيرتها الأولى مطلقاً.

## ثانياً : معيار التطابق Correspondance

### مرحلة القانون العلمي ( مرحلة التحقق) :

إن معيار التطابق هو أحد المبادئ المنهجية الأساسية التي تحكم تطور العلم ، وعلى الصعيد الفلسفي يعبر التطابق عن انتقال المعرفة من الصدق النسبي إلى الصدق المطلق .

وقد صيغ هذا المبدأ بواسطة (بوهر Boher ) ( 1913م) في الوقت الذي انهارت فيه مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية. وعلى العموم ، تنفيذ نظرية التطابق في أن القضية الصادقة لابد أن تأتي متطابقة مع الوقائع الخارجية التي نتحدث عنها هذه القضية . ومعنى ذلك أن معيار الصدق هو تطابق الفكرة أو الاعتقاد مع وقائع العالم الفعلي. وهو ما حدث مع المثال السابق، فتحقق الفروض وتطابقها مع الحقيقة الكونية دلنا على أنّ فهمنا صائب حتماً . هنا تحول الصدق الاتساقى إلى صدق تطابقي الأمر الذي يؤكد فكرة اللغة المثالية لكلام الله تعالى من جهة وثبات هذا الفرض كحقيقة في التاريخ العلمي وتاريخ الوعي البشري وبقائه مسلمة من مسلمات الخبرة تقاس عليها لاحقاً (اتساقات) جديدة .

وهذا يتفق مع ما أشارت إليه نظرية (جون ديوى J.Dawy ) المنطقية فيما يسمى بالاتصال (Continuity). فكل قضية مؤدية بالضرورة إلى قضية أخرى وهكذا حتى تنتهي إلى حكم أخير يحل لنا الإشكال المطروح للبحث، لكن هذا الحكم الأخير نفسه سرعان ما يستخدم في بحث آخر جديد بمثابة قضية تؤدي إلى قضية ثانية مطابقة حتى نصل إلى حكم جديد في مشكلة جديدة - وهكذا تظل عملية البحث في اتصال دائم ذلك لأن تيار الخبرة متصل . وذلك بخلاف ما ينزع إليه المنطق التقليدي وبعض مدارس المنطق المعاصرة في اعتبار كل قضية على حدة وجعلها حقيقة قائمة بذاتها (1). ويمكن أن ننظر إلى التطابق تقابلاً بين الكل والجزء حين يكون بينهما موازاة صورية ، فافرض مثلاً أنك أخذت جزءاً من خط مستقيم ثم قارنته بالخط كله، فستجد موازاة صورية بين أجزاء الكل وأجزاء الجزء.

#### خاتمة

يمكن إجمال الإطار الإجرائي الكلي الحامل لبنية الوعي العلمي في مستويين:

#### المستوى الأول:

معرفة الشيء بالاتصال المباشر ((Acquaintance كأن يرى الرائي بقعة لونية ، ويقابل هذا النوع من المعرفة المباشرة ما يسمى عند (رسل) معرفة (بالوصف) ، وهي ما يتكون في الذهن من بناءات تصورية قوامها عناصر جاءت بالمعرفة المباشرة المذكورة(2).

#### المستوى الثاني:

مستوى (الترجيح Appraisal) ويدل على نحو ما جاء عند (ديوى) على موقف الباحث إزاء القضايا الوسطى التي يجتازها منذ أن يبدأ البحث حتى ينتهي أخيراً إلى (الحكم Judgment) وهو مرحلة الختام من البحث ويكون ذا صلة مباشرة بالوجود الفعلي - فالذي يجعل الباحث يقبل قضية ثم ينتقل إلى ما بعدها ليس هو الحكم بصوابها ، لأن الحكم بالصواب لا يكون إلا على النتيجة الأخيرة ؛ وإنما هو تقديره أو ترجيحه بأن تكون القضية المعينة مؤدية في النهاية إلى النتيجة المقبولة(1). إن التأكيد على ضرورة هذه المستويات يجعل حكماً على ما لم نحط به خيراً، حكماً ميتافيزيقياً مرفوضاً، وهو ما يتفق مع مفهوم العلم ، فما العلم إلا فض لمغاليق هذا الوجود، والقرآن هو كتاب الوجود وهو اللغة المنطقية المثالية الكلية الوحيدة.

(1) ديوى ، جون : المنطق - نظرية البحث - ترجمة : زكي نجيب محمود ، مؤسسة فرانكلين.

(2) المرجع السابق.

(1) نفس المرجع السابق .

### المراجع :

- 1- ياسين خليل : منطق المعرفة العلمية ، منشورات الجامعة الليبية ، 1971م.
- 2- ياسين خليل : نظرية جوتلوب فريجة المنطقية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد، 1967م.
- 3- رودلف كارناب : الأسس الفلسفية للفيزياء، ترجمة : السيد نفاذي دار الثقافة الجديدة.
- 4- محمود فهمي زيدان : في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985م.
- 5- محمود فهمي زيدان : المنطق الرمزي ، نشأته وتطوره ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر 1989م.
- 6- عبد الله محمد توم : المنطق واللغة والواقع في فلسفة الذرية المنطقية عند كل من رسل وفيتجشتاين، الأزمنة الحديثة ، الطبعة الأولى ، 1987م.
- 7- محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، 1984م.
- 8- زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1968م.
- 9- زكي نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق ، القاهرة ، 1986م.
- 10- جون ديوى : المنطق – نظرية البحث ، ترجمة وشروح: زكي نجيب محمود، مؤسسة فرانكلين .

### المراجع الإنجليزية

- 11 Frege, Gottob, The Foundation of Arithmetic ,logical Mathematical Investigation into the concept of Number, translated by :J.L. Austin , Basil, Black well, Oxford , 1968.
- 12 Wittgenstein, Ludwig, Philosophical Investigations, Translated by : G.E.M. Anscomb, Basil, Blackwell, Oxford, 1958.
13. Kutschera , Franrz von, Philosophy of language, D. Redel publishing company, Dotnecht, Holland- Boston U.S.A., Second Edition, 1975.